(تطور الخطاب الديني في العهد المكي ١-١٣من البعثة/٦١٠-٦٢٢م)

الباحث / محمد أحمد أحمد خليل عويس
باحث ماجستير في التاريخ الإسلامي
إشراف اد. إبراهيم مرجونة

عدد ٥٥ يوليو ٢٠٢٠ م

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد: لما كان الخطاب الديني به تكون الحياة الحقيقية، وتقوم به الأمم، وتُبنى به الدول، وتُأَسَسُ به الحضارة، وتُرسَّخ به القيم، حمَّل اللهﷻ المسلمين مسئولية بلاغه وتبليغه إلى البشرية كلها فقال آمراً سبحانه (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ*)[1] ، وقال ﷺ (بَلِّغُوا عَنِّي ولو آيَةً) ، بل شرفهم بوصفهم من أهل الخطاب الديني وجعل لهم الخيرية على غيرهم به فقال تعالى (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ)[2]

ومن هنا كانت مسئولية الخطاب الديني على عاتق الأمة ومكانته التي جعلت له الدور الفعال في صناعة تاريخها وأثره الملموس والمُشَاهَد في ظل الأحداث التاريخية في كيان الدولة الإسلامية منذ عهدها الأول منذ عصر النبوة بدءً بالبعثة النبوية المباركة، فما قامت الدولة الإسلامية إلا بفضل هذا الخطاب الديني الذي هو الوظيفة الأولى للنبوة، وما اتسعت حدودها خارج الجزيرة العربية إلا من أجل تبليغ رسالة الإسلام ومخاطبة الناس به، وما كانت الخلافة الراشدة لتكون إلا بفضل ذلك الخطاب وما حمل من مضمون ديني فيه صلاح البلاد والعباد ليستكمل منهاج النبوة في قيام عصر الخلفاء الراشدين، مما يوجه الأنظار لدراسة الخطاب الديني في ظل أحداث التاريخ والاستفادة من دوره فيها.

وهذه مستلة من دراسة حول تطور الخطاب الديني في تاريخ صدر الإسلام في عصري النبوة والخلفاء الراشدين، وتأتي هذه المستلة بعنوان تطور الخطاب الديني في العهد المكي (١-١٣من البعثة/٦١٠-٦٢٢م) تبدأ بهذه المقدمة، متتبعة تطور الخطاب الديني في شكله ومضمونه، تعقبها خاتمة، ورصد المصادر والمراجع التي بنيت عليها.

---

[1] () قرآن كريم: سورة آل عمران: الآية ١٠٤.

[2] () قرآن كريم: سورة آل عمران: الآية ١١٠.

تطور الخطاب الديني في العهد المكي
(١-١٣من البعثة/ ٦١٠ م-٦٢٢م)
أسلوب وشكل الخطاب الديني في العهد المكي وتطوره:

اكتمل سن الأربعين للنبي محمدﷺ بعد أربعين سنة نشأ فيها في مكة وعاش فيها بين أهلها بحسن سيرة وأكمل خلق حتى دعاه فيها أهل مكة بلقبه الذي لقبوه به (الصادق الأمين) حتى تزوج بالسيدة خديجة رضي الله عنها وأنجب منها البنين والبنات، وأخذ يتعبد في غار حراء حتى جاءه الوحي ونزل جبريل عليه السلام بالوحي عليه، [١]

وساعده في ذلك زوجته السيدة خديجة رضي الله عنها[٢] من خلال ورقة بن نوفل الذي عنده علم من الكتب السماوية السابقة حتى عرف رسول اللهﷺ النبوة وتحمله لرسالة الإسلام التي بدأت بقوله تعالي {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ *خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ *عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ

---

[١]() حديث بدء الوحي صحيح أخرجه البخاري في صحيحه: باب كيف كان بدء الوحي إلي رسول اللهﷺ، حديث رقم (٧) ، ج١، ص٧، ورواه في كتاب التفسير: سورة اقرأ باسم ربك، حديث رقم (٤٩٥٣، ٤٩٥٤) ، ج٦، ص١٧٣، وصحيح مسلم: كتاب الايمان، باب بدء الوحي، حديث رقم (١٦٠) ، ج١، ص٩٧.

[٢]() ابن حزم: (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري)، جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم، تحقيق: إحسان عباس، (دار المعارف، مصر، ١٩٠٠م)، ص٦، البيهقي: (أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي)، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ج٢، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ)، ص١٣٥، ابن سيد الناس: (محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربعي، أبو الفتح، فتح الدين)، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، ج١، (دار القلم، بيروت، ١٤١٤ه-١٩٩٣م)، ص١٠٢، ابن كثير: (أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي)، الفصول في السيرة، تحقيق وتعليق: محمد العيد الخطراوي، محيي الدين مستو، ط٣، (مؤسسة علوم القرآن، ١٤٠٣ه)، ص٩٥، المقريزي: (أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي)، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، ج٣، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ص٣.

يَعْلَمْ *} [1] ، ومن هذه اللحظة تبدأ الدعوة إلى الرسالة والإسلام بخطابهﷺ الصغير والكبير داعياً له إلى دين الله ﷻ وعبادته، متخذاً بذلك أشكالاً متعددة لهذا الخطاب الديني كل شكل موقوف على الحالة والظروف التي تحيط به.

وتطور هذا الخطاب من شكل إلى شكل ومن حال إلى حال حيث أخذ هذا الخطاب يتطور في مراحل وأشكال مختلفة في العهد المكي تبدأ سراً في ثلاث سنوات تسمي بالمرحلة السرية ثم بعد السنوات الثلاث انتقل إلى مرحلة الجهر بأشكال متطورة ومختلفة علي حسب العوامل المحيطة به في مكة: " فكان فيما قاله عروة بن الزبير، ومحمد بن شهاب، ومحمد بن إسحاق: من حين أتت النبوّة وأنزل عليه (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ) إلى أن كلّفه اللّه الدعوة، وأمره بإظهارها فيما أنزل عليه من قوله: (فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ)[2] وقوله: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ، وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِين)[3] ثلاث سنين، لا يظهر الدعوة إلا للمختصين به، منهم خديجة وعلى وزيد وأبو بكر رضي الله عنهم، فدعا ثلاث سنين مستخفياً، وقيل: دعا مستخفياً أربع سنين ثم أعلن الدعاء وصدع بالأمر."[4]

ومن هذا نستطيع أن نضع الأيدي على الشكل الأول والمرحلة الأولي للخطاب الديني في العهد المكي في ثلاث سنوات أولي من عمر البعثة النبوية **وهي المرحلة السرية والدعوة السرية** وذلك على النحو التالي:

١ –الخطاب الفردي:

أ–الخطاب العملي والفعلي بإظهار شعيرة الصلاة:

حيث بدأ النبي ﷺ أول يوم من دعوته بالعمل والفعل لا بالقول والمشافهة، فكان عمله من إظهار الشعيرة هو مشافهة الآخرين بهذا العمل حيث أول وهلة للخطاب الديني والتبليغ عن طريق إظهار شعيرة الصلاة، ذكر

---

[1] () قرآن كريم: سورة العلق: آية ١-٥.
[2] () قرآن كريم: سورة الحجر: آية ٩٤.
[3] () قرآن كريم: سورة الشعراء: آية ٢١٤.
[4] () المقريزي: إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، النميسي، ج١، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٠ه/ ١٩٩٩م) ، ص٣١.

في السيرة أن أول شيء بعد نزول الوحي مما فرض الله علي نبيه هو الصلاة وكان أول عمل يقوم به في دعوته ﷺ حيث: " كان أول شيء فرض اللهﷻ من شرائع الإسلام عليه بعد الإقرار بالتوحيد والبراءة من الأوثان والأصنام وخلع الأنداد الصلاة، أن الصلاة حين افترضت على رسول اللهﷺ، أتاه جبريل وهو بأعلى مكة، فهمز له بعقبه في ناحية الوادي، فانفجرت منه عين، فتوضأ جبريل عليه السلام، ورسول اللهﷺ ينظر إليه، ليريه كيف الطهور للصلاة، ثم توضأ رسول اللهﷺ كما رأى جبريل توضأ، ثم قام به جبريل فصلى به، وصلى رسول اللهﷺ بصلاته، ثم انصرف."[1]

ففي هذه الرواية يتبن أن الخطاب الأول من أول يوم للدعوة والرسالة التي تحملها الرسول قائمة على الصلاة وإقامة شعائرها وكان إظهار الخطاب في دعوة خديجة هو الصلاة والوضوء قبلها كما فعل جبريل عليه السلام مع النبي محمدﷺ فهو خطاب عملي ومشافهة تطبيقية لا قولية،

ومن هذا يتضح أن الخطاب العملي هو الشكل الأول الذي اتخذه الخطاب الديني في نشر الدعوة من أول يوم من خلال إظهار الصلاة داخل البيت النبوي في مكة، بل سيخرج هذا الخطاب الفعلي إلى خارج البيت ويتطور إلى أن ينتشر الفعل بالصلاة أمام الكعبة فيعرف الناس بالدين والدعوة التي

([1]) ابن هشام: (عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين،) السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ج١، ط٢، (مصر، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ١٣٧٥هـ /١٩٥٥ م) ، ص٢٤٤، الطبري: (محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري)، تاريخ الطبري(تاريخ الرسل والملوك)، ج٢، ط٢، (دار التراث، بيروت، ١٣٨٧هـ)، ص٣٠٧،

ابن الأثير: (عز الدين ابن الأثير)، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ج١، (بيروت، دار الكتاب العربي، لبنان، ١٤١٧ه-١٩٩٧م)، ص٦٥٠، الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي)، أعلام النبوة، (دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٠٩هـ)، ص٢٣٩، العامري: (يحيى بن أبى بكر بن محمد بن يحيى العامري الحرضي)، بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل، ج١، (دار صادر، بيروت)، ص٦٥، المقريزي: إمتاع الأسماع، ج١، ص٣٢، الذهبي: (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، ج١ ، ط٢، (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٣هـ -١٩٩٣م)، ص١٣٥.

يحملها الرسول في مكة ولم يكن قاصراً علي النبي والسيدة خديجة وعلي وزيد بن حارثة بل سيري من في مكة هذا الأمر. [١]

فصلاة النبي ومن معه من الذين يصلون بصلاته ستلفت أنظار القوم في مكة، ويتحول الخطاب من عمل بالصلاة إلى مشافهة مع أبى طالب من النبي تارة ومن على تارة أخرى، وسيتسع الأمر إلى أن تعرف قريش حيث يروي ابن هشام وغيره في السيرة قائلا "وكانﷺ، يخرج إلى الكعبة أول النهار ويصلي صلاة الضحى، وكانت قريش لا تنكرها، وكان إذا صلى غيرها قعد علي وزيد بن حارثة يرصدانه."[٢] ، من هذا يتضح أن النبي كان يصلى ما تعرفه قريش من الصلاة على ملة إبراهيم وهي الضحى ويزيد عليها إما من عدد الركعات أو غيرها في غير وقتها [٣] مثل العشى حتى يلفت أنظار قريش وأهل مكة إلى تلك الصلاة التي هي خطاب عملي للدين كما لفت انتباه أبى طالب من قبل فأخذ الناس يبتدرون إلى تلك الصلاة حتى دخلوا إلى الدين وفشي ذكر الإسلام بمكة.

---

(١) للمزيد من نماذج الخطاب العملي بالصلاة انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ج١ ص٢٤٦، ابن الأثير: الكامل، ج١، ص٦٥٦، ابن كثير: البداية والنهاية، ج٣، ص٣٤، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١، ص١٣٧، ابن الجوزي: (جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، = = تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، ج٢، (دار الكتب العلمية، بيروت،١٤١٢هـ /١٩٩٢م)، ص٣٥٩.

٢() ابن الأثير: الكامل، ج١، ص٦٥٨.

٣() لبيان تاريخ الصلاة وتشريعها انظر: الطبري: تاريخ الطبري، ج٢، ص٣٠٧، العامري: بهجة المحافل، ج١، ص٦٦، المقريزي: إمتاع الأسماع، ج١، ص٣٤، السهيلي: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي)، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، ج٢، (دار إحياء التراث العربي، بيروت،١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، ص٢٨٤، الصالحي: (محمد بن يوسف الصالحي الشامي)، سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، ج٢، (دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣م)، ص٢٩٨، الحلبي: (علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين)، السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون)، ج١، ط٢، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧ه)، ص٣٧٥.

ومن كل ما سبق يتضح أن الخطاب العملي الكائن في الصلاة حرك الناس إلي خطاب شفهي بالسؤال عن تلك الصلاة والشعيرة والديانة الجديدة مما دعي الناس إلى الدخول في الدين وإفشاء الأمر فكان الخطاب العملي والفعلي هو الشكل الأول للخطاب الديني في مكة من أول وهلة له.

ب-الخطاب الفردي بالقول والحوار

يأتي الشكل الثاني للخطاب الديني في بدايته بعد إقامة الشعائر إلي الخطاب الفردي المناسب للمرحلة السرية للخطاب والدعوة إلي الإسلام فتطور الخطاب من العمل والفعل إلى القول والحوار الداعي إليه وذلك بأسلوب شخصي فردي بين النبيﷺ والأشخاص المخاطِب لهم داعياً إياهم إلي الإسلام، ويتجلى شكل الخطاب الفردي في هذه المرحلة مع العاقلين الذين يمتلكون العقول الواعية المقدرة للمرحلة الدعوية والدين الجديد حيث " بدأ رسول اللهﷺ بعد ذلك يدعوا إلى الإسلام من وثق بعقله ثلاث سنوات كاملة، حتى أسلم عدد من الرجال والنساء ممن عرفوا برجحان الرأي وسلامة النفس."[1]

واستمر الحال بالدعوة والخطاب الفردي الثلاث سنوات الأولي حتى وصل العدد الداخل في الإسلام قرابة الثلاثين حتى جاءت مرحلة الجهر بالدعوة، ويتضح ملامح الخطاب الديني الفردي من الروايات التالية التي توضح شكله الفردي الذي سار عليه في السنوات الأولى إلى أن يتطور من مرحلة السر إلي مرحلة الجهر، وتبدأ مرحلة الخطاب الفردي منذ أن جاء الوحي إلي النبيﷺ بقوله تعالي {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ *قُمْ فَأَنْذِرْ *وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ *وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ *وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ *وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ *فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ *فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ *عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ}[2]

ليكون الشكل الذي أخذه الخطاب الديني وهو الحوار الفردي والخطاب الموجه لكل فرد على حده الصغير والكبير والحر والعبد الرجال والنساء على سواء، كل محاور ومخاطب بدعوته إلى الدين، كما وضح كذلك أن هذا الشكل الفردي في الخطاب وتوجيهه إلى الأشخاص استمر ثلاث سنوات هي عمر

---

(1) مصطفي السباعي: السيرة النبوية دروس وعبر، ط3، (المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ص٤٦.

(2) قرآن كريم: سورة المدثر: آية ١-٣١٨٠

الدعوة السرية، كما بين أن هذا الخطاب لا يوجه لأي شخص بل الأشخاص الذين يمتلكون عقولا خاصة تستطيع فهم الخطاب والمحافظة عليه سراً إلى أن يتم الله الأمر.

فضلا عن ذلك إن هذا الخطاب الفردي سوف يظهر فيه شكل جديد وهو موضوع الخطاب نفسه كما يتضح من الروايات التاريخية التي تبين تطور الخطاب في الشكل والمضمون في هذه المرحلة، فبعد أن حاور النبي السيدة خديجة بما رأي من ملك الوحي وآمنت وكانت أول من آمن من الناس جميعا وعلمها الصلاة التي علمه إياها جبريل –عليه السلام–يبدأ الحوار للخطاب الديني مع كل فرد يري هذه الصلاة التي هي الشكل الأول له،

ومن ذلك ما يرويه ابن كثير وغيره: " إن علي بن أبي طالب –رضي الله عنه –جاء بعد ذلك بيوم وهما يصليان، فقال علي يا محمد ما هذا؟ قال دين الله الذي اصطفى لنفسه، وبعث به رسله، فأدعوك إلى الله وحده لا شريك له، وإلى عبادته، وأن تكفر باللات والعزى، فقال علي: هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم، فلست بقاض أمرا حتى أحدث به أبا طالب، فكره رسول اللهﷺ أن يفشي عليه سره قبل أن يستعلن أمره، فقال له: يا علي إذا لم تسلم فاكتم، فمكث علىٌ تلك الليلة،

ثم إن الله أوقع في قلب عليّ الإسلام، فأصبح غاديا إلى رسول اللهﷺ حتى جاءه فقال ماذا عرضت علي يا محمد؟ فقال له رسول اللهﷺ: " تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وتكفر باللات والعزى، وتبرأ من الأنداد " ففعل علىٌ وأسلم، ومكث يأتيه على خوف من أبي طالب وكتم علىٌ إسلامه ولم يظهره."[1]

فمن هذه الرواية التي توضح: الخطاب الحواري الفردي بين علي بن أبي طالب الذي تربي في حجر النبيﷺ، وبيان الخطاب الديني الفردي الذي دار بينهما وتضمن هذا الحوار الغاية منه وهي مضمون الدين بأن يعبد الله وحده لا شريك له وأن يترك عبادة الأصنام، كما بين الأسلوب السري الذي أخذه

[1] () ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص٢٤٦، ابن الأثير: الكامل، ج١، ص٦٥٦، ابن كثير: البداية والنهاية، ج٣، ص٣٤.

الخطاب في هذه المرحلة وهو السر والكتمان إلى أن أسلم علي بن أبي طالب، ويلاحظ هنا أيضا أن الخطاب ارتكز على جانب الاعتقاد فحسب حيث بين النبيﷺ حقيقة الصلاة وحقيقة الدين وما يدعوا إليه من التوحيد ونبذ الشرك والاعتقاد في الأنداد.

وبنفس الشكل والأسلوب للخطاب الديني الفردي دخل أبو بكر الصديق الإسلام عن طريق الخطاب الفردي بينه وبين الرسولﷺ وسوف يتبع نفس الأسلوب والخطاب في السنوات الثلاث داعيا إلي الإسلام مع النبيﷺ إلى أن يسلم عدد من الرجال، هكذا كان الخطاب الديني الفردي الأسلوب الذي اتبعه أبو بكر في دعوته مستغلا في ذلك مكانته في قومه والفته فيهم ومجالسة قومه له واخذ يخاطب من وثق به وبعقله عن الإسلام واصطحابه إلي النبيﷺ ودعوته إلي الإسلام وسماع القرآن.

وعلى نفس الحال كلما اقتنع أحد من حوار أحد ممن أسلم أخذ منهج النبيﷺ وأبي بكر في مخاطبة الآخرين ودعوتهم حتى بدء ذكر الإسلام بدعوتهم وخطابهم الفردي ينتشر في أرجاء مكة إلى حد قول ابن الأثير: " وكان هؤلاء النفر –يقصد من أسلم علي يد أبي بكر–هم الذين سبقوا إلى الإسلام، ثم تتابع الناس في الإسلام حتى فشا ذكر الإسلام بمكة وتحدث به الناس."[1]

هكذا كان الخطاب الديني في ثلاث سنوات بشكله الفردي انتشر الإسلام في مكة، ومن الجدير بالذكر انه في نفس المرحلة انتشر الإسلام إلي خارج حدود مكة في القبائل العربية ووصل ذكره بفضل الخطاب الفردي إلى المدينة حيث بوب ابن كثير في البداية والنهاية بعنوان

(إسلام أبي ذر [2] وذكر إسلام ضماد) وهذا قبل أن يتكلم عن الجهر بالدعوة.

([1]) ابن الأثير: الكامل، ج١، ص٦٥٨.

([2]) أبو ذر: "الزاهد المشهور الصادق اللهجة مختلف في اسمه واسم أبيه، والمشهور أنه جندب بن جنادة بن سكن. وقيل: عبد الله. وقيل اسمه بربر، وقيل بالتصغير، والاختلاف في أبيه كذلك إلا في السكن: قيل يزيد وعرفة، وقيل اسمه هو السكن بن جنادة بن قيس بن عمرو بن مليل، بلامين مصغرا، ابن صغير، بمهملتين مصغرا، ابن حرام، بمهملتين، ابن غفار، وقيل: اسم جده سفيان بن عبيد بن حرام بن غفار، واسم أمه رملة بنت الوقيعة غفارية أيضا، ويقال: إنه أخو عمرو بن عبسة لأمه. وقع في رواية لابن ماجة أنّ النبيّ

وخلاصة القول أنَّ الخطاب الديني الفردي أدي ثمرته في نشر الإسلام وخبره في مكة، ودخول جمع من خيرة القوم في الإسلام، وتحملهم الخطاب الفردي والدعوة الفردية إلي غيرهم علي نهج أبي بكر الصديق حتي خرجت الدعوة الى الإسلام بخطابها الفردي خارج مكة حين أسلمت من خلاله قبائل العرب من (غفار وضماد وغيرهما) [1]

٢ –الخطاب الجهري (الجهر بالدعوة)

بعد استمرار الدعوة والخطاب الفردي الحواري وإظهار شعيرة الصلاة ثلاث سنوات في مكة حتى انتشر خبر الإسلام جاء الأمر من الله –ﷻ–لنبيه بالجهر وإعلان الدعوة إلى الناس ومخاطبتهم جهاراً بدءً بأهله ومن هنا يتطور الخطاب الديني من إظهار الشعائر في الصلاة والخطاب الفردي إلي الخطاب الجهري الجمعي للجميع بشكل جديد ومضمون أوسع مما كان عليه من قبل.

ففي الروايات: " إن اللهﷻ أمر نبيه محمداًﷺ بعد مبعثه بثلاث سنين أن يصدع بما جاءه منه، وأن يبادي الناس بأمره، ويدعو إليه، فقال له: «فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ وكان قبل ذلك–في السنين الثلاث من مبعثه،

صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذر: «يا جنيدب»، ... وله مناقب كثيرة ودور عظيم في الإسلام، قال فيه النبي صلي الله عليه وسلم «يرحم اللَّه أبا ذرّ، يعيش وحده، ويموت وحده، ويحشر وحده» (أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٥/ ٢٢٢ والحاكم في المستدرك ٣/ ٥١ عن ابن مسعود بزيادة في أوله وقال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي صحيح فيه إرسال وأورده المتقي الهندي في كنز العمال حديث رقم ٣٣٢٣٢)، وكانت وفاته بالربذة سنة إحدى وثلاثين، وقيل في التي بعدها، وعليه الأكثر، ويقال: إنه صلّى عليه عبد اللَّه بن مسعود في قصة رويت بسند لا بأس به. وقال المدائني: إنه صلى عليه ابن مسعود بالرّبذة، ثم قدم المدينة فمات بعده بقليل. (الذهبي: (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي)، سير أعلام النبلاء، ج٣، (القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ص٣٦٧، ابن حجر: (أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، ج٧، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ)، ص٣٦٧).

[1] () للوقوف علي دور الخطاب الفردي في دخول غفار وضماد الإسلام انظر: أبو نعيم: دلائل النبوة، ج١، ص٢٥٣، ابن كثير: السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير) ، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، (دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٦م) ، ص٤٥٢، الصالحي: سبل الهدي والرشاد، ج٢، ص٣١٤.

إلى أن أمر بإظهار الدعاء إلى الله–مُستسِراً مُخفِياً أمرهﷺ وأنزل عليه: «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ»"[1]

وفي تفسير قوله تعالي {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) يقول القرطبي: قَوْلُهُ تَعَالَى: (فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَر) أي بالذي تؤمر به، أي بلغ رسالة الله جميع الخلق لتقوم الحجة عليهم، فقد أمرك الله بذلك."[2]، ويقول ابن كثير في تفسيره أيضاً " قول تعالى آمرا رسولهﷺ بإبلاغ ما بعثه به وبإنفاذه والصدع به، وهو مواجهة المشركين به .... وقَوْلُهُ: {وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ} أي بلغ ما أنزل إليك من ربك، ولا تلتفت إلى المشركين الذين يريدون أن يصدوك عن آيات الله."[3]

هكذا يوضح القرآن الكريم التحول للخطاب الديني من حال إلى حال وتطوره من مرحلة السر إلي الجهر مع طمأنة قلب النبيﷺ بأن له من الله الحماية وإرشاده إلى الأسلوب المتبع مع المخاطَب أنَّ عليه عرض مضمون خطابه دون التفات إلى المشركين حين اعتراضهم عليه في خطابهم الجهري بالدعوة إلى الدين الإسلامي.

وفي التنفيذ الفعلي للخطاب الديني الجهري وغيره أن النبيﷺ وبعد نزول الآيات السابقة الذكر " صعد رسول الله[4]ﷺ ذات يوم الصفا فقال: يا صباحاه! فاجتمعت اليه قريش، فقالوا: مالك؟ قال: أرأيت إن أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم، أما كنتم تصدقونني! قالوا: بلى، قال: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يدي

---

(1) الطبري: تاريخ الطبري، ج٢، ص٣١٨.
(2) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج١٠، ص ٦١.
(3) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص٤٧٣.
4() الحديث صحيح: أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب التفسير: باب سورة الشعراء باب قوله تعالي (وأنذر عشيرتك الأقربين)، حديث رقم(٤٧٧٠)، ج٦، ص١١١، وكتاب التفسير :باب سورة سبأ: باب قوله تعالي(إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد)، حديث رقم(٤٨٠١)، ج٦، ص١٢٢، وكتاب التفسير: سورة المسد، حديث رقم (٤٩٧١، ٤٩٧٢، ٤٩٧٣)، ج٦، ص١٧٩، وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الايمان، باب قوله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين)، حديث رقم (٢٠٨)، ج١، ص١٣٤، وأخرجه الترمذي في السنن: أبواب التفسير عن رسول الله، باب سورة المسد، حديث رقم(٣٣٦٣)، ج٥، ص٣٧٩.

عذاب شديد» فقال أبو لهب: تبا لك! ألهذا دعوتنا–أو جمعتنا! فأنزل اللهﷻ: «تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ» إِلَى آخِرِ السُّورَةِ."[1]

وبالتالي سيأخذ الخطاب الديني مرحلة جديدة أو شكلاً جديداً ويتطور إلى مضمون أوسع من الفرد إلى الجماعة ومن الاختصار إلى البيان شيئا ما بدءً بذلك في أهل مكة من أقاربهﷺ، ففي هذه الرواية بيان بحال الخطاب الجهري في أهل مكة بلفت النظر إلى سيرة المخاطِب به بينهم وصدقه فيهم وعلمهم بخلقه واستمالتهم بالتعجب ولفت النظر إليه وإعلامهم بنبوته ورسالته من الله، ولكن أول خطاب لقي الاعتراض والمواجهة من عمه أبي لهب مما سيجعل الخطاب مكرراً مرة بعد مرة يتطور في كل مرة من أسلوب إلى أسلوب ومن شكل إلى أخر ومن مضمون إلى أخر أوسع مما كان، وأوضح شيئا ما.

ففي الروايات التاريخية أيضاً عن علي بن أبي طالب قال: " قال: لما نزلت هذه الآية على رسول اللهﷺ: ««وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ»، دعاني رسول اللهﷺ فقال لي: يا علي، إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، فضقت بذلك ذرعا، وعرفت أني متى أباديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصمت عليه حتى جاءني جبرئيل فقال: يا محمد، إنك إلا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك،

فاصنع لنا صاعاً من طعام، واجعل عليه رحل شاة، واملأ لنا عسا من لبن، ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى أكلمهم، وأبلغهم ما أمرت به، ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم له، وهم يومئذ أربعون رجلا، يزيدون رجلا أو ينقصونه، فيهم أعمامه: أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب، فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم، فجئت به، فلما وضعته تناول رسول اللهﷺ حذية من اللحم، فشقها بأسنانه، ثم ألقاها في نواحي الصحفة ثم قال:

خذوا بسم الله، فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة وما أرى إلا موضع أيديهم، وايم الله الذي نفس على بيده، وإن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم ثم قال: اسق القوم، فجئتهم بذلك العس، فشربوا منه حتى رووا منه جميعا، وايم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله، فلما اراد رسول

(1) ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص٢٦٢، الطبري: تاريخ الطبري، ج٢، ص٣٢٠،

الله ص أن يكلمهم بدره أبو لهب إلى الكلام، فقال: لهدما سحركم صاحبكم! فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله ص، فقال: الغد يا علي، إن هذا الرجل سبقني إلى ما قد سمعت من القول، فتفرق القوم قبل أن أكلمهم، فعد لنا من الطعام بمثل ما صنعت، ثم اجمعهم إلي،

قال: ففعلت، ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام فقربته لهم، ففعل كما فعل بالأمس، فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجة ثم قال: اسقهم، فجئتهم بذلك العس، فشربوا حتى رووا منه جميعا، ثم تكلم رسول الله ص، فقال: يا بني عبد المطلب، إني والله ما أعلم شابا في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به، إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟

قال: فأحجم القوم عنها جميعا، وقلت: وإني لأحدثهم سنا، وأرمصهم عينا، وأعظمهم بطنا، وأحمشهم ساقا، أنا يا نبي الله، أكون وزيرك عليه فأخذ برقبتي، ثم قال: ان هذا أخي ووصى وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا قال: فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع."[1]

فمن هذه الرواية يتضح التطور للخطاب الديني في أمور: أنه تطور من أسلوب المفاجئة التي كانت علي جبل الصفا إلى أسلوب التهيئة وإعداد النفس لتلقي الخطاب، وتطور من القول بالنبوة إلي دليل واقعي ومعجزة عملية في مضمون النبوة حيث كثرة الطعام على قلته وشبع القوم من قليل الطعام وبقائه كما هو وكذلك الحال من التراب، كذلك عدم اليأس بمقاطعة أبي لهب للرسول وعدم تمكينه من التبليغ في المرة الأولي والإصرار على المبدأ ومعاودة الأمر في اليوم التالي وتبليغ المضمون بالنبوة والرسالة.

([1]) الطبري: تاريخ الطبري، ج٢، ص٣٢١، ابن الأثير: الكامل، ج١، ص٦٦١، ابن كثير: السيرة النبوية، ص٤٥٩، البداية والنهاية، ج٣، ص٥٣، الدواداري: (أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري)، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق: محمد السعيد جمال الدين، ج٣،(عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٤٠٢هـ /١٩٨١م)، ص٣٨١، صاحب حماة: أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد)، المختصر في أخبار البشر، ج١، (المطبعة الحسينية المصرية)، ص١١٧.

كما تطور مضمون الخطاب فشمل أمور الدنيا والآخرة، كما تطور أكثر بتبشيرهم بشأنهم في المستقبل أن لهم الحكم والسيادة والخلافة إن هم آمنوا به واتبعوه، فشمل الخطاب جزءاً من أمور السياسة فضلاً عن الدين، ولكن في النهاية لم يلبي القوم إجابةً وإيماناً مما سيجعل أشكالاً أخري وطرقاً أخري وتطوراً آخر للخطاب الديني، حيث سيتحول الخطاب ويتطور في مضمونه من عرض الكلام على الإيمان بالله واليوم الأخر وبالنبيﷺ إلى إعلان واضح عن بطلان عبادتهم للأوثان والأصنام وجوانب العقيدة في مكة.

بل سيتسع ليشمل شيئاً من النظام الاجتماعي آنذاك مما سيجعل المواجهة للنبيﷺ وخطابه من أهل مكة إلى حد الأذى والتدبير له ولمن حوله ممن أسلم من الصحابة حيث قال بن جرير عن ذلك: " فصدع رسولُ اللهﷺ بأمر الله، وبادَى قومَه بالإسلام، فلما فعل ذلك لم يبعد منه قومه، ولم يردُّوا عليه بعض الرَّد–فيما بلغني–حتى ذكر آلهتهم وعابها، فلمّا فعل ذلك ناكروه وأجمعُوا على خلافه وعداوته إلَّا مَنْ عصم الله منهم بالإسلام؛ وهم قليل مستخفُون."[1]

وبهذا يتطور الخطاب الديني من حال التلميح الاعتقادي والاجتماعي في حياة الناس بمكة إلى حال التصريح والتوضيح لما هم عليه من خطأ في العبادة والعادات والتقاليد مما سيجعل حرارة المواجهة لهذا الخطاب، ويذكر ملامح هذا التطور في الشكل والمضمون للخطاب الديني والجهر به ابن كثير قائلا: " المقصود أن رسول اللهﷺ استمر يدعو إلى الله تعالى ليلاً ونهاراً، وسراً وجهراً، لا يصرفه عن ذلك صارف، لا يرده عن ذلك راد، لا يصده عن ذلك صاد، يتبع الناس في أنديتهم، ومجامعهم، ومحافلهم، وفي المواسم، ومواقف الحج، يدعو من لقيه من حر وعبد وضعيف وقوي وغني وفقير جميع الخلق في ذلك عنده شرع سواء، وتسلط عليه وعلى من اتبعه من آحاد الناس من ضعفائهم الأشداء الأقوياء من مشركي قريش بالأذية القولية والفعلية."[2]

---

(1) الطبري: تاريخ الطبري، ج٢، ص٣٢٢.
(2) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٣، ص٥٤.، السيرة النبوية، ص٤٦٠، محمد أحمد أبو زهره: خاتم النبيين، ج١، (دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٢٥هـ)، ص٣٠٩.

ومن هذه الرواية يتضح تطور الخطاب الديني الجهري في الانفتاح والانتشار في كل مكان في مكة وفي كل وقت وفي كل ظرف وترك الحذر في عدم التبليغ والتطور في التوجيه لكل عناصر البشر مع اختلاف حالهم واستمرار الخطاب وقوته وصراحته رغم مواجهته بالقوة والعنف،

وظل هذا التربص سلمياً بين أهل مكة وبين النبيﷺ ولكن سيواجه بالأذى له حين يذكر ألهتهم وديانتهم مما سيكون سبباً في تطو جديد في شكل الخطاب عن طريق المواجهة بين الطرفين، ويذكر بن الأثير التلميح في ذلك فيقول: "فصدع رسولُ اللهﷺ بأمر الله، وبادَى قومَه بالإسلام، فلما فعل ذلك لم يبعد منه قومه، ولم يردُّوا عليه بعض الرَّد–فيما بلغني–حتى ذكر آلهتهم وعابها، فلمّا فعل ذلك ناكروه وأجمعُوا على خلافه وعداوته إلَّا مَنْ عصم الله منهم بالإسلام؛ وهم قليل
مستخفُون."[1]

فمن هذه الرواية يكمن الشعور السلمي بين مكة وأهلها وبين خطاب النبي في الجهر [2] والإفصاح عن بطلان دينهم واعتقادهم وفكرهم الديني في مكة مما سيجعل المواجهة ملموسة لولا وجود أبو طالب حاجزاً بين النبيﷺ وبينهم مما سيجعل شكلاً جديداً وأسلوباً جديداً يتطور إليه الخطاب الديني من حال إلى حال جديد بعد الأمان إلى بيئة المواجهة والأذى بعد تفكير أهل مكة في طرق سلمية جديدة بينهم وبين منع النبي من خطابه ودعوته وخاصة أن مكانة أبي طالب بينهم تحجبهم عن صاحب الخطاب وقد تعهد أبو طالب بحمايته والدفاع عنه.

والجدير بالذكر أن يذكر شيء من محاولات أهل مكة في تعطيل الخطاب فمرة عن طريق جبر الخاطر مع عمه ومرة عن طريق المساومة وفي كل مرة يعللون دوافع ذلك بموضوع الخطاب الديني الذي يحمله النبيﷺ، فقد " شري

([1]) ابن الأثير: الكامل، ج١، ص٦٦١.

[2]() للوقوف علي مواجهة أهل مكة للخطاب الجهري انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص٢٨٩، ابن كثير: السيرة النبوية، ص٤٩٨، المقريزي،: إمتاع الأسماع، ج١، ص٣٥، العامري: بهجة المحافل، ج١، ص٧٦، المقدسي: (المطهر بن طاهر المقدسي) ، البدء والتاريخ، ج٤، (مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد) ، ص١٤٧، الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج٢، ص٣٢٢.

الأمر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال فتضاغنوا، وأكثرت قريش ذكر رسول اللهﷺ وتذامروا فيه، فمشوا إلى أبي طالب مرة أخرى فقالوا: يا أبا طالب إن لك سناً وشرفاً، وإنَّا قد اشتهيناك أن تنهى ابن أخيك فلم تفعل، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آلهتنا وآبائنا وتسفيه أحلامنا، حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين، أو كما قالوا، ثم انصرفوا عنه."[١]

فمن ذلك يتضح تفكيرهم في الخلاص الكلي من النبيﷺ ومنازلته الذي كان بمسه دينهم واعتقادهم وعاداتهم وفكرهم الديني دافعاً للخلاص منه لا سيما أنهم كلموا أبا طالب في ذلك قبل تلك المرة فطيب أبو طالب خاطرهم وكلم النبيﷺ في ذلك.

" فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم له ولم تطب نفسه بإسلام رسول اللهﷺ وخذلانه، وبعث إلى رسول اللهﷺ فأعلمه ما قالت قريش وقال له: أبق على نفسك وعلى ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق. فظن رسول اللهﷺ أنه قد بدا لعمه بدو، وأنه خذله وقد ضعف عن نصرته، فقال رسول اللهﷺ: " «يا عماه لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته "، ثم بكى رسول اللهﷺ وقام، فلما ولى ناداه أبو طالب، فأقبل عليه وقال: اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبدا»"[٢].

فكلها مؤثرات علي الخطاب الديني بينهم من استرضاء ومن تهديد ووعيد إلى أن يصل الأمر إلى المساومة بينهم وبين أبي طالب أن يبدلوا صاحب الخطاب تبديل شخصي وخاصة أن أبا طالب لم يمنعه فساوموا أبا طالب أن يعطوه رجلا مكان النبي فيكون رجلا برجل ولكن أبا طالب رفض حتى اشتد الأمر بين الطرفين [٣] مما يجعل الأذى واقع وخاصة على المسلمين

---

(١) ابن الأثير: الكامل، ج١، ص٦٦١.
(٢) الطبري: تاريخ الطبري، ج٢، ص٣٢٤، ابن الأثير: الكامل، ج١، ص٦٦٢.
٣() لتفصيل ذلك انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص٢٦٦، الطبري: تاريخ الطبري، ج٢، ص٣٢٥، المقريزي: إمتاع الأسماع، ج١، ص٣٥، ابن الأثير: الكامل، ج١، ص٦٦٧، العامري: بهجة المحافل، ج١، ص٧٧، ابن الجوزي: المنتظم، ج٢،

المستجيبين لهذا الخطاب لا سيما بعد موت أبي طالب الحاجز بين الطرفين، مما سيكون سبباً أكبر في تطور الخطاب الديني من حال إلى حال جديد وشكل جديد في ذلك العهد المكي وهو المحاورة والمناظرة.

٣ –المحاورة والمناظرة

أ _ الحوار المثالي الهادف بين النبي وأهل مكة:

لما بلغ الخطاب الديني في مكة أثره على الناس واستجابة الناس له وحاول المعترض عليه في مكة مواجهته ولو بأذى صاحبه وأتباعه على ضوء ما سبق ذكره كان أسلوب جديد يتطور إليه الخطاب الديني في شكل جديد وثوب جديد وحال جديد وهو أسلوب الحوار والنقاش والجدال والمناظرة وبدأ هذا من أهل مكة وخاصة كبار قريش الذين عرضوا على أنفسهم هذا الأسلوب كحل يعطلوا به خطاب النبيﷺ ودعوته إلي الإسلام، فاختاروا من بينهم عتبة بن ربيعة[١] محاوراً رسول الله، ليعطي صبغة جديدة وشكلاً جديداً وأسلوباً جديداً للخطاب الديني يتطور إليه وهو أسلوب
الحوار والنقاش. [٢]

" فقام عتبة حتى جلس إلى رسول اللهﷺ فقال يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من السّطة في العشيرة والمكان في النّسب وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرّقت به جماعتهم وسفّهت أحلامهم وعبت آلهتهم ودينهم وكفّرت من

ص٣٦٤، الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج٢، ص٣٢٦، الحلبي:(علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين)، السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون)، ج١، ط٢، (دار الكتب العلمية، بيروت،١٤٢٧هـ)، ص٤٠٢.

[١]() عتبة بن ربيعة: بن عبد شمس ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب، أبو الوليد القرشي العبشمي، قدم على قيصر في جماعة من قريش لاستخلاص أبي أحيحة سعيد بن العاص بن أمية، وكان شاعراً، وولد ربيعة بن عبد شمس عتبة وشيبة، قتلا يوم بدر، وعن مجاهد: في قوله عز وجل: "وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ". قالوا: هو عتبة بن ربيعة، وكان ريحانة قريش يومئذ، وقال ابن عباس في قوله عز وجل " أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض " قال: الذين آمنوا: على وحمزة وعبيدة بن الحارث، والمفسدون في الأرض، عتبة وشيبة والوليد، وهم الذين تبارزوا يوم بدر" (ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٣، ص٥٥٤، ابن الأثير: أسد الغابة، ج٣، ص٥٥٣، ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، تحقيق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، ج١٦، (دار الفكر، دمشق، سوريا،١٤٠٢هـ / ١٩٨٤م)، ص٥٠).

[٢]() الصالحي: سبل الهدي والرشاد في سيرة خير العباد، ج٢، ص٣٣٥.

مضى من آبائهم، يا محمد أنت خير أم عبد الله؟ فسكت رسول اللهﷺ فقال: أنت خير أم عبد المطلب؟ فسكت رسول اللهﷺ قال: فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلّم نسمع قولك، إنا والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومك منك، فرّقت جماعتنا وأشتّت أمرنا وعبت ديننا وفضحتنا في العرب، حتى طار فيهم أن في قريش ساحراً وأن في قريش كاهناً والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلى أن يقوم بعضنا بعضا إليك بالسيوف حتى نتفانى،

أيها الرجل فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منا بعضها فقال له رسول اللهﷺ: قل أبا الوليد أسمع قال: يا ابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعناه لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد به الشّرف سّودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك، وإن كنت تريد ملكا ملّكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيّا لا تستطيع ردّه عن نفسك طلبنا لك الطبّ وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه أو كما قال له حتى إذا فرغ عتبة ورسول اللهﷺ يسمعه منه قال له: أقد فرغت أبا الوليد؟ " قال نعم! قال اسمع مني، قال أفعل!

فقال رسول اللهﷺ: (حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آياته قرآنا عربيا لقوم يَعْلَمُونَ) [1] فمضى رسول اللهﷺ يقرأها فلما سمع بها عتبة أنصت لها وألقى بيديه خلفه أو خلف ظهره معتمدا عليها ليسمع منه حتى انتهى رسول اللهﷺ إلى السجدة فسجدها ثم قال: " سمعت يا أبا الوليد؟ قال سمعت، قال: " فأنت وذاك " ثم قام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به. فلما جلسوا إليه قالوا ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال ورائي أني والله قد سمعت قولا ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا الكهانة، يا معشر قريش أطبعوني واجعلوها بي، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم

[1] () قرآن كريم: سورة فصلت: آية ١-٢.

وكنتم أسعد الناس به، قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذا رأيي لكم فاصنعوا ما بدا لكم."[1]

فمن هذه الرواية التي تؤكد تطور الخطاب الديني إلي شكل حواري بين عتبة بن ربيعة مبعوث قريش وبين النبي-ﷺ-ولكن الحوار انتهي بقناعة عتبة إلي القول بأن النبي علي حق وان الفرصة السانحة للعرب أن تطيعه وتتبعه إلا أن عناد أبي جهل ومن حوله صد الناس عن نصرة هذا الحوار مما سيميزه بمميزات كشكل من أشكال الخطاب الديني على ما سيأتي ذكره، ورغم أن قريش هي التي اختارت هذا الأسلوب وهذا الشكل الحواري إلا أن تعنتهم وعنادهم وعدم رضاهم بالتسليم للنبي ينتج عنه شكلاً جديداً للحوار وهو أسلوب المجادلة والاعتراض فيتحول هذا الحوار من حوار مثالي إلى حوار جدلي تعجيزي مع النبيﷺ.

ب -الحوار الجدلي التعجيزي المتعنت من قبل قريش:

لا شك أن الحوار المثالي المتكامل بآداب الحوار بين الطرفين على ضوء ما حدث بين النبيﷺ وبين عتبة بن ربيعة ستكون نتيجته في صف صاحب الحق وهو النبي وهو مالا يرضاه أهل مكة وبالخصوص قريش مما سيكون عاملا في تحويل الخطاب من المثالية والحوار البناء إلي شكل جديد وهو الحوار الجدلي التعجيزي المتعنت من أجل تعجيز النبي ﷺ وغلبة قريش عليه، وبالتالي يتطور الخطاب الديني إلي أسلوب جديد وهو المجادلة التي ستكون تعجيزية من طرف قريش وتكون بالحسنى من طرف النبي ﷺ متمسكا في ذلك بتطبيق قوله تعالي{وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}[2].

ويوضح ابن كثير غرض هذا الحوار الجدلي فيقول: " فصل فيما اعترض به المشركون على رسول اللهﷺ وما تعنتوا له في أسئلتهم إياه أنواعا من الآيات وخرق العادات على وجه العناد، لا على وجه طلب الهدى والرشاد فلهذا لم يجابوا إلى كثير مما طلبوا ولا ما إليه رغبوا، لعلم الحق سبحانه أنهم لو عاينوا وشاهدوا ما أرادوا لاستمروا في طغيانهم يعمهون، ولظلوا في غيهم وضلالهم

---

(1) ابن هشام: السيرة النبوية، ج١ ص٢٩٣، ابن كثير: البداية والنهاية ، ج٣ ص٨٢، الصالحي: سبل الهدي والرشاد، ج٢، ص٣٣٧.

2() قرآن كريم: سورة النحل: آية ١٢٥. ٣٣٠

يتردون."[1] ، كما أن القرآن الكريم حكي هذا الحوار الجدلي بين قريش وبين النبي ﷺ في أكثر من أية فقال تعالي (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ لَا يُؤْمِنُونَ، وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ، وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عليهم كل شئ قُبُلاً مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يجهلون)[2].

ففي تفسيره قال بن كثير: "قول تعالى إخبارا عن المشركين، إنهم أقسموا بالله جهد أيمانهم، أي حلفوا أيمانا مؤكدة {لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ} أَيْ: عجزة وخارقة {لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا} أَيْ: أي ليصدقنها، {قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ} أَيْ: أي قل: يا محمد هؤلاء الذين يسألونك الآيات، تعنتا وكفرا وعنادا، لا على سبيل الهدى والاسترشاد، إنما مرجع هذه الآيات إلى الله، إن شاء جاءكم بها، وإن شاء تركككم.

قال ابن جرير: حدثنا هناد، حدثنا يونس بن بكير، حدثنا أبو معشر، عن محمد بن كعب القرظي، قال: كلم رسول اللهﷺ قريش، فقالوا: يا محمد تخبرنا أن موسى كان معه عصا يضرب بها الحجر، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا، وتخبرنا أن عيسى كان يحيي الموتى، وتخبرنا أن ثمود كانت لهم ناقة، فأتنا من الآيات حتى نصدقك، فقال رسول اللهﷺ «أي شيء تحبون أن آتيكم به»، قالوا: تجعل لنا الصفا ذهبا، فقال لهم «فإن فعلت تصدقوني؟» قالوا: نعم، والله لئن فعلت لنتبعنك أجمعون، فقام رسول اللهﷺ يدعو، فجاءه جبريل عليه السلام، فقال له: ما شئت إن شئت أصبح الصفا ذهبا، ولئن أرسل آية فلم يصدقوا عند ذلك ليعذبنهم، وإن شئت فاتركهم حتى يتوب تائبهم، فقال رسول الله ﷺ«بل يتوب تائبهم»"[3].

---

(1) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٣، ص٦٥.
(2) قرآن كريم: سورة الأنعام: آية ١٠٩-١١١.
3() ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص٢٨٣.

فلولا رحمة الله ورحمة رسوله لكان حوارهم الجدلي والتعنتي والتعجيزي هذا سبباً في دمارهم وهلاكهم فقد علم أنهم لن يهتدوا ولو حقق مطالبهم ونظير هذا قوله تعالي {إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ}(١) وقوله تعالي {وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَبِالآيَاتِ إِلا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَانُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلا تَخْوِيفًا}(٢) وغير هذه الآيات كثير في القرآن الكريم توضح جدال الكافرين وعنادهم بالباطل."(٣)

فهذا الحوار الجدلي بجميع صوره وأشكاله طلب للتعجيز لا للوصول إلي الحق ولا إلى واقعية أو معقولية أو أشياء ممكنة بل هي معجزة لا يملكها إلا الله (٤) وهو القادر على ذلك ولكن لو حدث ما طلبوا ولبي لهم رغباتهم وطلباتهم لم يؤمنوا ولم يستجيبوا لخطاب النبي سيكون ذلك سببا في عذابهم حيث عقب بن كثير على هذا المجلس قائلا " وهذا المجلس الذي اجتمع عليه هؤلاء الملأ مجلس ظلم وعدوان وعناد، ولهذا اقتضت الحكمة الإلهية، والرحمة الربانية، ألا يجابوا إلى ما سألوا لأن الله علم أنهم لا يؤمنون بذلك فيعاجلهم

---

(١) قرآن كريم: سورة يونس: آية ٩٦-٩٧.

(٢) قرآن كريم: سورة الإسراء: آية ٥٩.

٣() للمزيد من صور الحوار الجدلي المتعنت انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص٢٩٥، ابن كثير: البداية والنهاية، ج٣، ص٦٧، السيرة النبوية، ص٤٩٨، الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج٢، ص٣٣٨.

(٤) ومن ناحية أخري يجيب الإمام السهيلي علي حوارهم هذا مفسراً علة عدم استجابة الله لهم فقال: " وذكر ما سأله قومه من الآيات وإزالة الجبال عنهم وإنزال الملائكة عليه وغير ذلك جهلا منهم بحكمة الله تعالى في امتحانه الخلق وتعبدهم بتصديق الرسل وأن يكون إيمانهم عن نظر وفكر في الأدلة فيقع الثواب على حسب ذلك ولو كشف الغطاء وحصل لهم العلم الضروري، بطلت الحكمة التي من أجلها يكون الثواب والعقاب إذ لا يؤجر الإنسان على ما ليس من كسبه كما لا يؤجر على ما خلق فيه من لون وشعر ونحو ذلك وإنما أعطاهم من الدليل ما يقتضي النظر فيه العلم الكسبي وذلك لا يحصل إلا بفعل من أفعال القلب وهو النظر في الدليل وفي وجه دلالة المعجزة على صدق الرسولﷺ وإلا فقد كان قادرا سبحانه أن يأمرهم بكلام يسمعونه ويغنيهم عن إرسال الرسل إليهم ولكنه سبحانه قسم الأمر بين الدارين فجعل الأمر يعلم في الدنيا بنظر واستدلال وتفكر واعتبار لأنها دار تعبد واختبار وجعل الأمر يعلم في الآخرة بمعاينة واضطرار لا يستحق به ثواب ولا جزاء وإنما يكون الجزاء فيها على ما سبق في الدار الأولى، حكمة دبرها، وقضية أحكمها، " (السهيلي: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، ج٣ ، ص٦٣) فعلة عدم إجابتهم تحقيق مناط التكليف والإيمان بالشرع الحنيف.

بالعذاب "[1] ، لما لا وكل هذه المطالب في هذا المجلس مسطرة في القرآن الكريم في ضوء سوره مثل سورة الأنعام، والإسراء، والفرقان وغيرها.[2]

ولا شك أن الحوار التعجيزي للنبيﷺ لمواجهة وتعطيل خطابه الديني لا يثمر إلا الأذى للمسلمين وخاصة أن الله رحمهم بعدم تلبية رغباتهم وتحقيق مطالبهم في مجلسهم سابق الذكر، مما سيطور الحوار الذي هو شكل من أشكال الخطاب الديني إلي نوع جديد فيتطور الحوار من حوار منضبط مثالي إلى حوار تعجيزي تعنتي إلى التفكير في حوار مماثل وخطاب مماثل ومشابه على زعمهم لخطاب النبي حتى يصرفوا به الناس من الاستماع إلي النبي إلي الاستماع إليهم بخطابهم البديل

المماثل على زعمهم ففكروا في خطاب بديل لخطاب النبي محمدﷺ على ما يلي:

ج ـ الحوار البديل أو المماثل

عندما فشل المشركون في صرف النبيﷺ والمسلمين عن خطابهم الديني الحق القائم على الوحي من خلال الحوار البناء المثالي المتكامل إلي التعنت والتعجيز فما كان لهذا الفشل إلا أن يدفعهم إلي عمل خطاب موازي اخترعوه وأبدعوه ليوازي بذلك خطاب النبي من حيث الموضوع فماثلوا خطاب النبي الذي حدثهم فيه عن خبر وقصص الأنبياء السابقين له ففكروا في البديل لهذا الخطاب ومضمونه لصرف الناس عنه، فعملوا علي مخاطبة الناس بتاريخ وأساطير الأمم ليصرفوهم عن خطاب الإسلام وقصص الأنبياء حيث ذكر ابن هشام في السيرة النبوية "وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش، وممن كان يؤذي رسول الله ﷺ وينصب له العداوة وكان قد قدم الحيرة، وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس، وأحاديث رستم وإسفندياذ، فكان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلسا فذكر فيه بالله وحذر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله

---

[1] () ابن كثير: البداية والنهاية، ج٣، ص٦٨.

(2) (سورة الأنعام: الآية٨-٩)، (سورة الاسراء: الآيات ٩٠-٩٦)، (سورة الفرقان: الآيات ٧-١١).

خلفه في مجلسه إذا قام ثم قال أنا والله يا معشر قريش، أحسن حديثا منه فهلم إلي فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم وإسفندياذ، ثم يقول بماذا محمد أحسن حديثا مني؟ قال ابن هشام: وهو الذي قال فيما بلغني: (سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللهُ)."[1]

وعلي هذا الحال كان النضر بن الحارث يتتبع مجلس النبي ويجلس مكانه ويخاطب الناس بخطاب الأساطير حتى ينسي الناس ما سمعوه منت رسول الله ﷺ فيمحوا أثره من رؤوسهم بهذا الخطاب البديل أو المماثل من القصص والأساطير ولقد حكي القرآن الكريم فيه آيات كثيرة فينطبق عليه قوله تعالي (ومَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ)[2]،

وقال تعالي عن ادعائهم المماثلة للقران والخطاب الديني (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) [3]، ففي تفسيرها يقول القرطبي " نزلت في النضر بن الحارث، كان خرج إلى الحيرة في التجارة فاشترى أحاديث كليلة ودمنة، وكسرى وقيصر، فلما قص رسول اللهﷺ أخبار من مضى قال النضر: لو شئت لقلت مثل هذا. وكان هذا وقاحة وكذباً."[4]

وكذلك أيضا جاء ذكر ذلك في سورة الفرقان حكاية لادعاء المشركين الخطاب المماثل أو البديل وتكذيبهم لخطاب الوحي قال تعالي (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا * وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا)،[5] يقول القرطبي مفسراً

---

[1] () السهيلي: الروض الأنف، ج٣، ص٧٠.
[2] () قرآن كريم: سورة الأنعام: آية ٩٣.
(3) قرآن كريم: سورة الأنفال: آية ٣١.
[4] () القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج٧، ص٣٩٧.
[5] () قرآن كريم: سورة الفرقان: آية ٤-٥.٣٣٤

لها: " قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) يعني مشركي قريش، وقال ابن عباس: القائل منهم ذلك النضر بن الحارث، وكذا كل ما في القرآن فيه ذكر الأساطير، قال محمد بن إسحاق: وكان مؤذياً للنبيﷺ."(١)

وهكذا أخذ الخطاب الديني يواجه بعد الحوار المثالي والتعنتي بحوار وخطاب الأساطير البديل لصد الناس عن الحق والخطاب الديني الحقيقي مما سيدفع أهل مكة والمشركين أن يعودوا إلي شكل جديد من أشكال الحوار مع النبيﷺ وهو الحوار الفصل بين قريش والنبي من علم أهل الكتاب على ما يلي

د _ الحوار الفصل بين قريش وبين النبي محمدﷺ:

لما كان حديث النضر بن الحارث بالأساطير وصرف الناس بها عن الخطاب الديني بالوحي في مكة عديم الجدوى ولم ينجح في تعطيل خطاب الرسول ﷺ وحواره مع الناس ودعوتهم إلي دين الله ﷻ دفع ذلك المشركين إلي شكل جديد من أشكال الحوار الذي هو لون في هذه المرحلة من ألوان الخطاب الديني في مكة والمجادلة بالتي هي أحسن وهذا الشكل الجديد للحوار يمكن تسميته بالحوار الفصل بينهم وبين النبي والفيصل في هذا هو علم أهل الكتاب فأرادوا الثبات لأنفسهم وإنهاء أمر الحوار مع النبي بجميع أشكاله وألوانه ليتخذوا أسلوبا جديدا في مواجهة الدين الإسلامي والخطاب الإسلامي في دعوة النبي لهذا الدين.

فعملوا على إرسال صاحب فكرة الحوار والخطاب البديل إلى الذي لم يكن له صدي عند الناس

ولا أثر فيهم إلى أحبار اليهود في المدينة ليتأكدوا من علمهم مدي صدق الرسول محمدﷺ في خطابه ودعوته وخاصة أن اليهود هم أهل الكتاب الأول وعندهم علم الأنبياء، حيث جاء في السيرة النبوية " أرسلت قريش النضر وابن أبي معيط إلى أحبار يهود يسألانهم عن محمدﷺ: فلما قال لهم ذلك النضر بن الحارث بعثوه وبعثوا معه عقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة،

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج١٣، ص٣.

وقالوا لهما: سلاهم عن محمد وصفا لهم صفته وأخبراهم بقوله فإنهم أهل الكتاب الأول وعندهم علم ليس عندنا من علم الأنبياء فخرجا حتى قدما المدينة، فسألا أحبار يهود عن رسول الله ﷺ ووصفا لهم أمره، وأخبراهم ببعض قوله، وقالا لهم: إنكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا، فقالت لهما أحبار يهود: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقول، فروا فيه رأيكم، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم فإنه قد كان لهم حديث عجب، وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح ما هي؟ فإن أخبركم بذلك فاتبعوه فإنه نبي، وإن لم يفعل فهو رجل متقول، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم،

فأقبل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط حتى قدما مكة على قريش، فقالا: يا معشر قريش، قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، قد أخبرنا أحبار يهود أن نسأله عن أشياء أمرونا بها، فإن أخبركم عنها فهو نبي، وإن لم يفعل فالرجل متقول، فروا فيه رأيكم، فجاءوا رسول اللهﷺ فقالوا: يا محمد أخبرنا عن فتية ذهبوا في الدهر الأول قد كانت لهم قصة عجب وعن رجل كان طوافا قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وأخبرنا عن الروح ما هي؟

فقال لهم رسول اللهﷺ أخبركم بما سألتم عنه غدا" ولم يستثن فانصرفوا عنه فمكث رسول اللهﷺ فيما يذكرون، خمس عشرة ليلة لا يحدث الله إليه في ذلك وحيا، ولا يأتيه جبريل حتى أرجف أهل مكة، وقالوا: وعدنا محمد غدا، واليوم خمس عشرة ليلة. قد أصبحنا منها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه وحتى أحزن رسول اللهﷺ مكث الوحي عنه وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبريل من اللهﷻ بسورة أصحاب الكهف، فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف والروح."[1]

---

[1]() ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص٣٠٠، السهيلي: الروض الأنف، ج٣، ص٧١، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١، ص٢١٢، ابن كثير: البداية والنهاية،ج٣، ص٦٨، اليعمري: (محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربعي، أبو الفتح، فتح الدين) ، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، ج١، (دار القلم، بيروت،١٤١٤ه/١٩٩٣م) ، ص١٢٧، الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج٢، ص٣٤٦، الحلبي: السيرة الحلبية، ج٣،ص٤٤٠.

أما عن انقطاع الوحي فهذه ميزة أرادها الله ﷻ للنبي محمد وقوة لإيمانه والاستعانة به وبمشيئته وحده ﷻ وهي أن الوحي لو جاء مباشرة بأجوبة القوم لكان فيه لهفة الايمان منهم ولكن الله ﷻ ليس في حاجة أن يؤمن القوم فان امنوا فلأنفسهم وان كفروا فكفرهم علي أنفسهم لذا قال الله لنبيه في نفس السورة التي أجابت أسئلتهم وهي الكهف (وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا).[1]

وهي دلالة على أن الخطاب الديني ليس جبراً لأحد على الإيمان إنما هو بلاغ وتبليغ كما قال تعالي(فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ)[2] وقال تعالي (فَذَكِّرْ إِنَّما أَنْتَ مُذَكِّرٌ *لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ *إِلاَّ مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ *فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذابَ الْأَكْبَرَ *إِنَّ إِلَيْنا إِيابَهُمْ *ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا حِسابَهُمْ *)[3] ومع كل هذا سلى الله نبيه وواساه في حرصه علي إيمان القوم وهدايتهم فقال تعالي (فَلَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ عَلى آثارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً*) [4] فما هو إلا إخلاص النبي محمدﷺ في دعوته وخطابه الديني في تبليغ الرسالة إلي الناس.

وجملة القول أنَّ أهل مكة بعد هذا الشكل الحواري من الحوار الفصل المصدَّق من الوحي من خلال أحبار اليهود وكتابهم الأول التوراة تيقنوا بعد الإجابة عليهم والرد الذي جاء بعد خمسة عشر ليلة على أسئلتهم الثلاث عرفوا أنَّ النبي محمدﷺ نبي حقاً وليس متقولاً عليهم ولكنَّ العصبية والجحود الذي في دمهم من دينهم ومن دعوة النبيﷺ ستجعلهم يتحولون بعد الحوار السابق بأشكاله إلى الأذى والضرب والعدوان حتى يترك الصحابة ديارهم ويهاجروا إلى الحبشة ليتطور الخطاب الديني إلي شكل جديد وحال جديد في ظروف جديدة.

---

[1] () قرآن كريم: سورة الكهف: آية٢٧.
(2) قرآن كريم: سورة النحل: آية ٣٥.
(3) قرآن كريم: سورة الغاشية: آية ٢١-٢٦.
[4] () قرآن كريم: سورة الكهف: آية٦.

الخاتمة

بعد السير على خطى الخطاب الديني تطور الخطاب الديني في العهد المكي منذ البعثة النبوية شكلاً ومضموناً، فبدء في الشكل والأسلوب بالعمل والفعل والتطبيق من خلال إظهار شعيرة الصلاة في مكة، ثم تطور من العمل والتطبيق الفعلي إلى الخطاب الشفهي بالحوار الفردي من خلال الدعوة السرية الفردية في ثلاث سنوات، ثم تطور إلى الخطاب الجهري للجميع، وما زال في تطوره إلى أن تنوع بالجدال والمناظرة، ثم تطور بعالمية الدعوة والإسلام إلى إرسال الوفود والإرساليات والبعثات الدعوية، وإرسال السفراء من خلال الهجرة إلى الحبشة وبيعتي العقبة.

كما كشفت الدراسة عن تطور مضمون الخطاب الديني وموضوعه في العهد المكي، الذي بدء بالشعائر والعبادة من خلال إظهار الصلاة في مكة، ثم تطور ذلك المضمون ليضم مع الصلاة الإيمان بالله وحده ونبذ الشرك وترك عبادة الأوثان والأصنام، ثم تطور ليضم الإيمان باليوم الآخر لتكون العقيدة الملمح الأول للخطاب الديني، ثم تطور في مراحل الدعوة الجهرية ليشمل نظم الحياة، فلمس مضمونه النظام الاجتماعي عند العرب، والنظام السياسي، والاقتصادي، إلى أن شمل جميع نواحي الحياة، بل تطور مضمونه ليخبر العرب عن المستقبل السياسي لدولة الإسلام ومستقبل العرب.

المصادر والمراجع

-القرآن الكريم

أولاً: المصادر:

١ -ابن الأثير: (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، ت ٦٣٠هـ): **الكامل في التاريخ**، ج١، ج٢، ج٣، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط ١٤١٧هـ /١٩٩٧م).

٢ -ـــــــــــــــ **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد، (دار الكتب العلمية، ط ١٤١٥هـ /١٩٩٤م).

٣ -البخاري: (محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، ت٢٥٦هـ): **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (دار طوق النجاة مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط١٤٢٢هـ).

٤ -البيهقي: (أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، ت٤٥٨هـ): **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٤٠٥هـ).

٥ -الترمذي (محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، ت٢٧٩هـ)، **الجامع الكبير (سنن الترمذي)**، تحقيق: بشار عواد معروف، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م).

٦ -- ابن الجوزي: (جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت٥٩٧هـ): **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

٧-ابن حزم: (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، ت٤٥٦هـ)، **جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم**، تحقيق: إحسان عباس، (دار المعارف، مصر، ط ١٩٠٠ م).

٨ -ابن حجر العسقلاني: (أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢هـ): **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٤١٥ هـ).

٩ –الحلبي: (علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين، ت ١٠٤٤هـ)، **السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون)**، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٧هـ).
١٠ –الدواداري: (أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري، ت ٧٣٦ هـ): **كنز الدرر وجامع الغرر**، تحقيق: محمد السعيد جمال الدين، ج٣، (مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط ١٤٠٢ هـ/١٩٨١م).
١١ – الذهبي: (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ت٧٤٨هـ)، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م).
١٢ –ـــــــــــ **سير أعلام النبلاء**، (دار الحديث، القاهرة، ط ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م).
١٣ –ابن سعد: (أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد، ت٢٣٠هـ): **الطبقات الكبرى**، تحقيق: إحسان عباس، (دار صادر، بيروت، ط ١٩٦٨م).
١٤ – السهيلي: (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، ت٥٨١هـ): **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية**، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١٤١٢هـ).
١٥ –ابن سيد الناس: (محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربعي، أبو الفتح، فتح الدين، ت٧٣٤هـ): **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، (دار القلم، بيروت، ط ١٤١٤هـ/١٩٩٣م).
١٦ –الصالحي: (محمد بن يوسف الصالحي الشامي، ت٩٤٢هـ): **سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد**، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١٤١٤هـ/١٩٩٣م).
١٧ –الطبري: (محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، ت٣١٠هـ): **تاريخ الطبري المسمى تاريخ الرسل والملوك**، (دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٨هـ).
١٨ –العامري: (يحيى بن أبى بكر بن محمد بن يحيى العامري الحرضي، ت٨٩٣هـ): **بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل**، (دار صادر، بيروت، بدون تاريخ).
١٩ –أبو الفداء: (أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن

محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة، ت٧٣٢هـ): **المختصر في أخبار البشر**، (المطبعة الحسينية المصرية، بدون تاريخ).
٢٠ –القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، ت٦٧١هـ): **الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ /١٩٩٤م).
٢١ –ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، ت٧٧٤هـ): **البداية والنهاية**، تحقيق: على شيري، (دار إحياء التراث العربي، ط ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
٢٢ –ـــــــ **السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)**، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، (دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط ١٣٩٥هـ/١٩٧٦م).
٢٣ –ـــــــ **الفصول في السيرة**، تحقيق وتعليق: محمد العيد الخطراوي، محيي الدين مستو، (مؤسسة علوم القرآن، ط (١٤٠٣هـ) منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ط ١٤١٩هـ).
٢٤ –مسلم (مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، ت٢٦١هـ): **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ).
٢٥ –المسعودي (أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودي، ت٣٤٦هـ): **التنبيه والإشراف**، تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي، (دار الصاوي، القاهرة، بدون تاريخ).
٢٦ –ـــــــ **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، مراجعة: كمال حسن مرعي، (المكتبة العصرية، بيروت، ط ٢٠٠٥م).
٢٧ –المقدسي المطهر (المطهر بن طاهر المقدسي، ت ٣٥٥هـ): **البدء والتاريخ**، (مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، بدون تاريخ).
٢٨ –الماوردي (المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، ت٤٥٠هـ): **أعلام النبوة**، (دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٠٩هـ)
٢٩ –ابن منظور (محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، ت٧١١هـ): **مختصر تاريخ دمشق لابن**

عساكر، تحقيق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، (دار الفكر، دمشق، سوريا، ط ١٤٠٢ هـ /١٩٨٤م).
٣٠ -المقريزي (أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي، ت٨٤٥هـ): **إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع**، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٤٢٠ هـ /١٩٩٩م).
٣١ -ابن هشام (عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين، ت٢١٣هـ): **السيرة النبوية**، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، بمصر، ط٢، ١٣٧٥هـ /١٩٥٥م).

ثانياً: المراجع العربية:

٣٢-أحمد أحمد غلوش، **السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي**، (مؤسسة الرسالة، ط ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
٣٣ -أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي: **السيرة النبوية**، (دار بن كثير، دمشق ط١٢، ١٤٢٥هـ).
٣٤ -الشريف حمدان الهجاري: **الأسلوب النبوي في الدعوة**، (دار الهدي للطباعة، القاهرة، بدون تاريخ).
٣٥ -شوقي أبو خليل: **في التاريخ الإسلامي**، (دار الفكر المعاصر بيروت لبنان، دار الفكر دمشق سورية، ط ١٩٩١م)
٣٦ -عبد الشافي محمد عبد اللطيف: **السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي**، (دار السلام، القاهرة، ط ١٤٢٨هـ).
٣٧ -على جابر الحربي: **منهج الدعوة النبوية في المرحلة المكية**، (الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).
٣٨-عبد الحميد جودة السحار: **محمد رسول الله والذين معه**، (مكتبة مصر للمطبوعات، القاهرة، بدون تاريخ).
٣٩ -عماد الدين خليل: **دراسة في السيرة النبوية**، (دار النفائس، بيروت، ط٢، ١٤٢٥هـ).
٤٠ -محمد أحمد أبو زهرة: **الدعوة الإسلامية تاريخها في عهد النبي والصحابة والتابعين والعهود المتلاحقة**، (دار الفكر العربي، ط ١٩٩٢).
٤١ -**خاتم النبيين-صلى الله عليه وآله وسلم-**، (دار الفكر العربي، القاهرة، ط١٤٢٥هـ).
٤٢-مصطفي السباعي: **السيرة النبوية دروس وعبر**، (المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).